

# تعدد أوجه الإعجاز في القرآن الكريم دلالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم

## الغزو الفكري

إعداد / محمد الجوهري

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية - جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

waleed.eltantawy@mediu.edu.my

خلاصة— هذا البحث يبحث في تعدد أوجه الإعجاز في القرآن الكريم دلالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم. الكلمات الافتتاحية: إعجاز، أوجه.

### I. المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد أخي الطالب، سلام من الله عليك ورحمة منه وبركات، ومرحبا بك في سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مادة الغزو الفكري، لهذا الفصل الدراسي، آملي أن تجد فيها كل المتعة والفائدة، وفي هذا الدرس نتعرف على تعدد أوجه الإعجاز في القرآن الكريم دلالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

### II. موضوع المقالة

من معجزات القرآن الكريم: أنه صالح لكل زمان ومكان، وأن أدلته وبراهينه التي تحدى بها كفار مكة سابقاً، وتحدى بها أهل الكتاب في المدينة المنورة هي هي بعينها ما زالت مصدرًا للتحدى لكبار المستشرقين المعاصرين لنا الآن، ولكل من سار في فلكهم. لماذا؟ لأن أهل الكتاب بالمدينة وقبلهم كفار مكة، لما قالوا: إن القرآن من عند محمد، وإنه إفك افتراه، تحذاهم القرآن على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم بحجة سهلة وميسورة يمكن أن تتكرر على لسان كل مسلم، فقال لهم: إذا كنتم عربياً، ومحمد عربي مثلكم، وأنتم تجيدون القراءة والكتابة ومحمد أمي لا يقرأ ولا يكتب، وقد أتى بمثل هذا القرآن من عند نفسه - كما تدعون كذباً وبهتاناً - فأتوا بآية من مثله أو انتوا بسورة أو انتوا بعشر سور مثله مفتريات. وهذه حجة في غاية الإقناع وفي غاية الإحكام في نفس الوقت؛ لأنها ملزمة للخصم. فهو إما أن يأتي بمثل القرآن إن كان بشرياً تصديقاً لدعواه، أو يسلم بأنه من عند الله □ وأنه ليس من صنع البشر، فيؤمن به. فإذا أصر على موقفه المعاند المكابر، فاته بذلك يكون خارجاً عن مجال الحوار العلمي إلى مجال العناد والاستكبار؛ وهذا هو شأن المشركين قديماً، وهو شأن المـ ستشرقين حديثاً، كما قال القرآن حاكياً عنهم: { فَاتَهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ } [الأنعام: ٣٣].

ومن تمام نعمة الله تعالى على عباده وعلى المؤمنين، ومن كمال خجته على خلقه: أن آيات النبوة، وبراهين صدق النبي معلومة لكل الخلق، وفي استطاعتهم العلم بها، وأن يسألوا عنها، وأن يجادلوا حولها ويحاوروا فيها. وقد يكون عند بعضهم من دلائل نبوته ما لا يوجد عند البعض الآخر، وقد يظهر لكل قوم من دلائل النبوة، ومن الآيات والدلائل النفسية والأفقية ما يتبين به أن القرآن حق. وإذا ظهرت هذه الدلائل، ووضحت هذه البراهين، وأعرض عنها الإنسان، أو أعرض عن النظر الحق الموجب للعلم بها - كما هو شأن الكثير من الأعداء ومن المفترين والمرددين لهذه الدعوى - كان هو عين موقف العناد، وموقف الاستكبار، وكان في ذلك شقاق لله ولرسوله.

ثم إن هناك أمراً آخر أتبه إليه وهو: أن القرآن الكريم قد شهد لنفسه بنفسه، كما شهد الله تعالى بصدقه، وبالوهية مصدره ليطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم ويزداد المؤمنون إيماناً بذلك. فانه تعالى قد شهد للقرآن بنفسه تارة، وبملائكته تارة أخرى، وبآياته البيِّنات تارة ثالثة، وأخبر عن هذا في أكثر من آية، قال تعالى: { قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } [الإسراء: ٨٨].

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك في أول أمر الدعوة وهو ما زال في مكة، وإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا وبهذا النفي العام الشامل القاطع للانس والجن، فيه آيات نبوته، وفيه دلائل لصدقه صلى الله عليه وسلم لأن مثل هذا الخبر لا

يقوله ولا يقدم عليه من يريد من الناس أن يصدقوه إلا وهو واثق تمام الثقة أن الأمر في نفسه كذلك، وأن القرآن في نفسه كذلك، وأن الإنس والجن لو اجتمعوا على قلب رجل منهم لا يأتون بمثله. ولو كان عند الرسول صلى الله عليه وسلم ذرة من شك في ذلك، لجاز أن يظهر كذبه في هذا الخبر، ويفسد عليه قصده. وهذا يقدم عليه كثير من الناس، ولكن لا يأتي بمثل هذا الجرم وبهذه الصيغة النافية القاطعة. لا يقدم عليها حكيم ولا عاقل، إلا وهو يعلم تمام العلم أن القرآن في نفسه كذلك يعجز عن الإتيان بآية واحدة منه، أو بسورة أو بعشر سور كل الإنس وكل الجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

ثم إن الواقع الذي عاشه الرسول صلى الله عليه وسلم والذي عاشه القرآن الكريم بين أهل مكة وأهل المدينة، وأيضاً في عصرنا الحاضر، لم يثبت التاريخ أن واحداً من العرب عارض القرآن الكريم أبداً، والذي حاول ذلك منهم أتى بأشياء فضحت أمره بين قومه ومعلوم أن توفر الدواعي المعارضة للقرآن الكريم كانت موجودة عند كل مشرك. محاولة معارضة القرآن، محاولة الاتهام، محاولة بيان أنه مفترى وأنه أساطير الأولين وأنه ... كل هذه الدواعي كانت موجودة، وحاولوا جميعاً أن يبيّنوا للرسول صلى الله عليه وسلم أنه كذا ... وكذا ... ولكن لما عارضهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بآية أو بسورة أو بعشر سور، عجزوا عن معارضته، مع توفر الدواعي عند جميعهم، ومع الحرص الشديد على محاربهته وإبطاله بكل وسيلة ممكنة. ولما كان الأمر كذلك، دل هذا الموقف في ذاته على العجز الم طلق لكل بني البشر، بل للجن أيضاً؛ وهذا في حد ذاته برهان تام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صدق القرآن الكريم، وعلى أنه من عند الله، وعلى أنه ليس من عند محمد، ولا من صنع البشر، ودلالة على صدق أنه آية في نفس الوقت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وهذه آية ظاهرة وباقية إلى يوم القيامة: أن القرآن يتلى بيننا صباحاً ومساءً، وعلى أصحاب هذه الادعاءات الكاذبة أن يأتوا بآية أو يأتوا بسورة.

وليس القصد هنا الحديث عن إعجاز القرآن؛ فإن ذلك له مجال آخر، ولكن الذي أود الإشارة إليه والتنبيه إليه: أن دلائل كون القرآن الكريم من عند الله □ متنوّعة ومتعددة، وكلها من أوجه إعجاز القرآن الكريم، وكل وجه منها منفرداً دليل على صدق النبي، ودليل على قدسية القرآن الكريم. ولما قص القرآن الكريم علينا موقف المشركين في مكة ودعواهم الكاذبة في أن القرآن من عند محمد قال لهم القرآن الكريم: { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَأ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلَهُ مَفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ } [هود: ١٣]. استعينوا بمن تشاءون إن كنتم صادقين. { فَأَلِّمِ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ } [هود: ١٤]، والشرط هنا معلوم، الجواب عنه معلوم، يعني: فإن لم يستجيبوا الله يعلم أنهم لن يستجيبوا؛ لأنهم عاجزون عن ذلك. { فَأَلِّمِ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [هود: ١٤]. ثم تنزل الآية الكريمة لتطمئن قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتُسزِي عنه ما يلقاه من وحشة، إزاء مواقف المشركين، وأن المشركين إذا كانوا حاربه وعاندوه، فإن الذي نزل على قلبه من آيات الوحي الكريم كقضية بأن تطمئن خاطره، قال تعالى: { لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا } [النساء: ١٦٦] أي: كفاك يا محمد أن الله وملائكته يشهدون بما أنزل إليك. ثم أعاد التجديد في المدينة المنورة مع أهل الكتاب، فقال في سورة "البقرة": { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة: ٢٣]. ثم قال: { فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } [البقرة: ٢٤]، فدلّت هذه الآية وغيرها على أمرين مهمين جداً:

الأول: قوله تعالى: { فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا } [البقرة: ٢٤] يعني: إذا لم تفعلوا ذلك، فقد علمتم أنه حق، وينبغي أن تعترفوا بذلك وتؤمنوا به. أما الأمر الثاني: فنقول تعالى: { وَلَنْ تَفْعَلُوا }، و { وَلَنْ } هنا تفيد تأكيد النفي في المستقبل، يعني: لن تستطيعوا أن تفعلوا ذلك مهما حاولتم، سواء في الحاضر أو في المستقبل؛ فثبت بذلك أن البشر لن يأتوا بمثله فيما يستقبل من أمرهم. فكان القرآن الكريم بذلك قد أخبر بعجز الإنس والجن، أن يأتوا بمثله ولو تعاون على ذلك أهل الأرض قاطبة.

ومن المعلوم: أنَّ الكفار في مكة كانوا من أحرص الناس على إبطال القرآن ومعارضته بمثلته، واجتهدوا في ذلك بكل الوسائل، تارةً يسألون أهل الكتاب من اليهود عن بعض المسائل الغيبية ليوَجِّهوا هذه الأسئلة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل التعجيز، ليبينوا بذلك أنه جاهل، وأنه عاجز، وأنه ليس معه من العُلم شيء، كما سألوهم عن قصة يوسف وسألوهم أيضًا عن أهل الكهف وعن عددهم . { سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُتُبُهُمْ وَيَقُولُونَ خُمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُتُبُهُمْ } [الكهف: ٢٢] إلى آخر القصة، وسألوهم عن ذي القرنين، وحاولوا أن يخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ويحاوروه في شأن هذه المسائل الغيبية، ليس على سبيل العلم ولا على سبيل المعرفة، ولكن على سبيل التعجيز والقهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانوا يجتمعون المرة بعد المرة ليتفقوا فيما بينهم على أمور محدّدة يسألون عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بقصد إعجازه، فكان ينزل القرآن الكريم بالإجابة الشافية لأمراضهم لو أرادوا.

فإذا كان هذا شأنهم معه صلى الله عليه وسلم من الحرص التام على المعارضة المرة بعد المرة، ولو كانوا قادرين عليها لفعَلوها؛ لأنَّه حيث وجدت الدواعي التامة، وامتنعت الصوارف، وكانوا قادرين على ذلك لوجب أن تتم المعارضة، وأن يأتي بمثلته، وما تكرر مع المشركين قديمًا ينبغي أن يكون هو شأننا مع المستشرقين حديثًا الآن، الذين يحاولون أن يتهموا القرآن بأنه كذا وكذا، وهذا التحدي الذي نوجهه الآن هو من أبلغ المواقف القرآنية التي يتحدى القرآن بها أهل الأرض قديمًا وحديثًا، ويتحدى بها كل من ادعى بشرية القرآن عليه أن يأتي بمثلته آية، أو سورة، أو عشر سور، فإن لم يستطع أحد أن يفعل ذلك، فعليه إن كان طالبًا للحق أن يؤمن به، ومعلوم لدى أهل العلم، خاصة أهل الخبرة بالقرآن وعلومه، أنَّ أوجه الإعجاز القرآني من جهة معانيه، وإخباره عن الغيب الماضي أو الغيب المستقبل، هذه الوجوه الإعجازية أكثر وأكثر بكثير من جهة إعجازه من حيث لفظه، ولكن أردنا بذلك أن نضع أمام إخواننا وأخواننا طلاب هذه الجامعة نماذج من هذه الوجوه على وجه التمثيل فقط، وليس على وجه الاستقصاء أو المحصر؛ لأنه من ذا الذي يستطيع حصر أوجه إعجاز القرآن الكريم . ومن أراد تفصيل ذلك القول فليراجع كتب علوم القرآن الكريم، كـ(الإتقان في علوم القرآن) للسبوي، أو كتاب (دقائق التفسير) لشيوخ الإسلام ابن تيمية خاصة الجزء الأول، وخاصَّة أيضًا المقدمة الخاصة بإعجاز القرآن الكريم.

ومن المفيد: أن نشير هنا إلى: أنَّ الذين تأملوا القرآن وقرعوه بعين الإلتصاف من المستشرقين، وعلما تماما أن ما في القرآن - سواء من الأخبار ومن المعاني ومن الحقائق العلمية ومن الإشارات الكونية- ليس من صنع البشر، لم يلبثوا أن أعلنوا إسلامهم، وأعلنوا اعتناقهم للإسلام، وللقرآن الكريم، واتخذوا الإسلام دينًا والقرآن دستورًا، وأعلنوا ندمهم الشديد على ماضي أيامهم التي قضاها على الكفر والعناد. يقول "موريس بوكاي" "أحد المستشرقين الفرنسيين الذين هدى الله قلوبهم وأعلنوا الإسلام، وألف كتابًا مهمًا بعنوان: (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم)، يقول "موريس بوكاي": "لقد أثارت دهشتي هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن الكريم، والتي كانت مطابقة تمامًا للمعارف العلمية الحديثة، ولقد درست هذه النصوص بروح منحررة تمامًا من كل حكم سابق، وبموضوعية تامة، بيده أني لا أنكر تأثير التعليم التي تلقيتها في شبابه؛ حيث لم تكن الألفية تتحدث عن الإسلام، وإنما عن المحمديين؛ لتأكيد الإشارة إلى أن هذا الدين أسسه رجل اسمه محمد، وبالتالي فهو ليس بدين سماوي، فلا قيمة له عند الله.

وكان يمكن أن أقل محفظًا بالكثير من هذه الأفكار الخاطئة عن الإسلام، وهي شديدة الانتشار في بلادنا، ولما تحدثت مع بعض المستشرقين من غير المتخصصين، عرفت أنني كنت جاهلًا قبل أن تطي لي صورة واضحة عن الإسلام تختلف تمامًا عن تلك التي تلقيتها في الغرب عن الإسلام.

وكان هدفي الأول هو: قراءة القرآن الكريم، ودراسة نصه آية آية . وانتهيت إلى دقة الإشارات الخاصة بالظواهر الطبيعية، ومطابقتها للمفاهيم التي تملكها اليوم مؤسسات العلم، والتي لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لأي إنسان في عصر محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون عنده أدنى فكرة عنها . وعلى حين نجد في التوراة أخطاء كثيرة علمية وتاريخية، أخطاء فادحة، فإننا لا نجد في القرآن الكريم أي خطأ.

وقد دفعتني ذلك إلى أن أتساءل: لو كان مؤلف القرآن إنسانًا بشريًا، فكيف استطاع في القرن السابع المسيحي أن يكتب ما أتضح اليوم أنه يتفق تمامًا مع معطيات العلم الحديث؟ ففي مجال القضايا التي تخضع للملاحظة والتجربة مثل: "تطور الجنين" يمكن مقابلة مختلف المراحل الموصوفة في القرآن الكريم مع معطيات علم الأجنة الحديث مرحلة مرحلة".

هذا كلام أحد المستشرقين الذين قرعوا القرآن بعين الإلتصاف ليحكم له أو عليه بحكم موضوعي. وهو رجل هداه الله تعالى للإسلام؛ لأنه بحث عن الإسلام وبحث في الإسلام مستخدمًا خطوات المنهج العلمي بروح متجردة إلا من البحث عن الحقيقة، وصدق الله العظيم: { وَلَوْ كَانُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } [النساء: ٨٢]. هذه بعض الملاحظات التي أردت تسجيلها حول ما اشتمل عليه القرآن في آياته البيّنات من دلائل صدقه، ومن العوامل التي تؤيد ألوهية مصدره . وهي نفس الآيات ونفس الأدلة والبراهين التي يمكن أن نقدمها للمستشرقين الآن الذين يرددون هذه الافتراءات، وتلك الادعاءات، وهذه الأكاذيب التي ورثناها في القرآن الكريم عن المشركين سابقًا . فياستطاعة أي مسلم الآن أن يمسك قرآنه بيده ويتحدى به أغنى عتاة الأرض، وأكثر علماء الأرض، وأعظم مفكرَي الأرض، ويقول له كما قال القرآن سابقًا: فأتوا بآية، فاتوا

بسورة، فاتوا بعشر سورة، وإن لم تفعلوا ولن تفعلوا، فإن كنتم طالبين للحق فأمنوا به، أما إن كنتم أهل عناد ومكابرة، فلا شأن لنا معكم الآن؛ لأنَّ أهل العناد وأهل الاستكبار لا ينفع معهم الحوار العلمي؛ لأنهم لا يطلبون الحق في ذاته، وإنما يطلبون الـ علو والاستكبار في الأرض.

كما لا أريد هنا أن أستقصى الآيات القرآنية التي تحدثت عن الحقائق الكونية المبنوثة في آيات القرآن الكريم، من مثل قوله تعالى: { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [يس: ٤٠]، ومن مثل حديث القرآن عن تاريخ الجنين في بطن أمه، ومن مثل حديث القرآن عن البحار وأهوالها وما فيها من عجائب، والسماء وأبراجها وما فيها من عجائب، والأفلاك وأثارها وما فيها من دلائل القدرة الإلهية، لخرجننا عن الحد المحدد لنا، أو لخرجننا عن مقصودنا، ولكنها فقط إشارات لما في القرآن الكريم من دلائل صدقه، ليكون القرآن بنفسه شاهدًا لنفسه على أحقيته، وعلى ألوهية مصدره، وما علينا إلا أن نعيش القرآن الكريم قراءة وتديراً وفهمًا واستعانة بالله على حسن فهمه، والله من وراء القصد.

#### المراجع والمصادر

- ١- الميداني، عبد الرحمن حسن، (أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها)، دار القلم ١٩٩٠م.
- ٢- الميداني، عبد الرحمن حسن، (أسس الحضارة الإسلامية ورسائلها)، دار القلم ١٩٨٠م.
- ٣- كونوي زيفلر، (أصول التنصير في الخليج العربي: دراسة وثائقية)، ترجمة: مازن صلاح مطبقاني، مكتبة ابن القيم ١٩٩٠م.
- ٤- جريشة، علي، (الاتجاهات الفكرية المعاصرة)، دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٠م.
- ٥- حسين، محمد محمد، (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، دار الرسالة ١٩٩٢م.
- ٦- الفيومي، محمد إبراهيم، (الاستشراق رسالة استعمار)، دار الفكر العربي ١٩٩٢م.
- ٧- السباعي، مصطفى، (الاستشراق والمستشرقون، ما لهم وما عليهم)، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.
- ٨- زقروق، محمود حمدي، (الإسلام والاستشراق)، دار القلم العربي ١٩٩٤م.
- ٩- شلبي، عبد الجليل، (الإسلام والمستشرقون)، دار الشعب ١٩٧٧م.
- ١٠- الطهطاوي، محمد عزت، (التبشير والاستشراق)، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١م.
- ١١- خالد، مصطفى، (التبشير والاستعمار في البلاد العربية)، وعمر فروخ، المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.
- ١٢- عبد العزيز العسكر، (التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي)، مكتبة العبيكان، ١٩٩٣م.
- ١٣- علي عبد الحليم محمود، (الغزو الفكري والتيارات المحاربة للإسلام)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلس العلمي، ١٤٠٤هـ.
- ١٤- السايح، أحمد عبد الرحيم، (الغزو الفكري)، سلسلة كتب الأمة، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤١٤هـ.
- ١٥- البهي، محمد، (الفكر الإسلامي الحديث وطلته بالاستعمار)، دار الفكر، ١٩٧٠م.
- ١٦- الزعبي، محمد علي، (الماسونية في العراق)، مؤسسة مطابع معتوق، ١٩٧٥م.
- ١٧- عطا، أحمد عبد الغفور، (الماسونية)، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٧٨م.
- ١٨- السقا، محمد صفوت، (الماسونية)، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٢م.
- ١٩- العواجي، غالب بن علي، (المذاهب الفكرية المعاصرة دورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها)، المكتبة العصرية الذهبية، ٢٠٠٦م.